التيار الإسلامي في القصة القصيرة بمصر في النصف الثاني من القرن العشرين

(دراسة تحليلية نقدية)

عرض : فرج مجاهد عبد الوهاب - مصر

الأدب نوع من نشاط الإنسان الذي هو مصدره سواء كان مبدعا أو متلقيا . فلا قيمة لأدب لا يؤثر على مشاعر الإنسان وعقله ، ولما كان الإنسان هو محور الأدب ومصدره كان من الضروري أن يحرص الأديب المسلم على ما يصلح مجتمعه مستخدما ما وهبه الله من نعمة البيان ، والأدب الإسلامي أدب واسع . شمولي ، فهو واقعي حين يعلن ثورته على سلبيات المجتمع، وحين يعبر عن لحظات الضعف البشري ، ووجداني حين يعبر عن تجربة الإنسان .

والإسلام لا يحول بين الأدب والإبداع الفني بل يحفزه ، فقد احتل الأدب الإسلامي مكانة متميزة بين الاتجاهات الأدبية الحديثة حتى عُد أدب التيار الإسلامي من أبرز نزعات الأدب العربي المعاصر .

وعن التيار الإسلامي في القصة القصيرة بمصر في النصف الثاني من القرن العشرين كانت رسالة الدكتوراه للباحث محمد محمد خليل الأخرس التي نوقشت بجامعة الأزهر تحت إشراف الأستاذ الدكتور محمد حامد شريف ، وتقع في مقدمة وتمهيد ثم ثلاثة أبواب وخاتمة .

في التمهيد يفند الباحث مزاعم المشككين في وجود أدب إسلامي ويبرز العلاقة بين الدين والأدب متصورا الأدب الإسلامي وسيلة يعبر بها الإنسان عن رؤيته الإسلامية للحياة ، وفق تعبير فني نابع من ذات مؤمنة .

وجاء الباب الأول تحت عنوان : " التيار الإسلامي وأثره في القصة القصيرة " فهو يتحدث عن التيار الإسلامي وبواعثه ويتناول الصراع المحتدم بين الدارسين المحافظين ، والمتطلعين إلى كل جديد وافد ، ويبرز بواعث التيار الإسلامي التي كان منها مواجهة العداء الغربي للإسلام والحركات التبشيرية ، كما كان من بواعث التيار الإسلامي التصدي لطغيان المادة والعودة إلى شفافية الروح .

وعند الحديث عن مفهوم القصة القصيرة ونشأتها يبين أبرز صورها وهو ما يصور الحدث ، وما يصور البيئة ، فالذي يصور الحدث يمكن أن نطلق عليه قصة حدث وفيها يبرز الكاتب معنى إنسانيًا يصدر عن أحد الأشخاص فتبدو فيه بعض المفارقات الإنسانية أو الاجتماعية .

أما القصة القصيرة التي تصور جانبا من البيئة يمكن أن نطلق عليها قصة الصورة فهي التي يتضاءل فيها شأن الحدث وحركته ويركز الكاتب عمله على التصوير القصصي ، الذي يجلو البيئة والحياة . وكاتب القصة القصيرة في الحالتين يحصر اهتمامه بالفعل نفسه دون نتائجه ومقدماته ، وهو يختار لقصته محورا تدور حوله الحوادث بحيث

يكون ذلك شائقا في ذاته .

ولا يمكن أن يغفل دارسو الأدب أثر القصة القرآنية والحديث الشريف في معرفة العرب للقصة حيث لا تزال القصة القرآنية منبعا ثريًا يستمد منه الأدباء والكتاب ، ويعالجون بها قضايا عصرهم في إطار ديني سواء في ذلك القصة المتصلة بالإنسان والحيوان .. ، وهناك محاولات عبد الله النديم في جريدته " التنكيت والتبكيت " ، وإبراهيم المويلحي في حديث عيسى بن هشام ، و محمد تيمور " في قصة " في القطار " ثم تلاهم خيري سعيد ، ومحمود تيمور ، وإبراهيم المصري ، ويحيى حقي .

والممعن في نتاج كتّاب القصة القصيرة يدرك أن القاص لم يغفل الجانب التاريخي مع ما للقصة القصيرة من سمات قد تجعل من استلهام التاريخ أمرا شاقًا ؛ لأنها تتطلب الإيجاز والتركيز وتأخذ من الأحداث لقطة واحدة ، ولكن احتفال القاص المسلم بالتاريخ وهيامه به ورؤيته المستنيرة له وإيمانه بصلاحية المبادئ جعله ينسج منها القصة التاريخية .

واستخدام الحدث التاريخي في ثوب أدبي يكسب الحدث جاذبية تجعله أكثر تأثيرا في نفس المتلقي ، حيث إن الإيمان بالله يجعل المسلم أكثر عزما وتشبثاً بعقيدته مهما كانت المحاولات المبذولة للتهوين من عزيمته ، ويضرب الباحث أمثلة لذلك بقصة " صانع الرجال " للدكتور نجيب الكيلاني في مجموعة (دموع الأمير) ، وقصص سلسلة " رجال ومعارك " للأستاذ محمد صالح ، وقصة " عاشقة السلام " لمحمد رجب البيومي ، وقصة " نداء من السماء " لعبد الحميد جودة السحار .

وكان نتاج الأديب المسلم مواكبا للحياة الاجتماعية وجاء معبرا عن دقائق الحياة اليومية ، ومزج الأديب بين الخيال والواقع في بعض القصص ، ولم يكن الخيال أو الرمز الذي لجأ إليه الأديب إلا مرآة مصقولة تعكس الواقع ، ولكن في إطار من الشفافية ، وكذا لجأ الكاتب في كثير من الأحيان إلى السخرية والفكاهة كغلالة دقيقة لا تخفي الدموع التي يذرفها الكاتب على واقعه من خلال حركة الأحداث والشخوص ، ومن أبرز القصص التي تحدثت ورصدت المتغيرات الاجتماعية يعرض الباحث لقصص " عزيزتي الحقيقة " لعلي شلش ، و " دوائر الحكم المغلق " لمحمد جاد البنا ، وقصة " المجنونة " لنجيب محفوظ ، و " الوديعة " لمحمد عبد الحليم عبد الله ، وقصة " عيون الثعالب " لمحمد خليل ، و " أهل القمة " لنجيب محفوظ .

وأبرز الباحث معالجة كتاب القصة القصيرة لقضية التطرف الديني بشقيه سواء المتعلق بالمفهوم الخاطئ ، لكيفية الاستفادة بأولياء الله الصالحين ، أو ما يعني بالتشدد والتزمت ، أما ما يتعلق بالمعتقدات الخاطئة التي ترسخت في أذهان العامة مما يفعل بأولياء الله الصالحين التماسا للبركة أو الشفاء فقد ارتبطت هذه الظاهرة بعصور الضعف والبعد عن تاريخ الولي أو صاحب الكرامة وإنما ينحصر فكرهم في التقرب من هذا الولي أو ذاك بالتمسح وتقبيل الأعتاب ، ويضرب المؤلف مثالا على ذلك بقصص " قنديل أم هاشم " و " يا أمة ضحكت " و " أبو ريش " و " فرح ومستور " .

أما في قصة " بعنا القطن " للدكتور علي شلش فنجد الواقع الاقتصادي والاجتماعي لمصر حيث يتحكم بعض الأفراد من كبار الإقطاع في السياسة الزراعية لمصر، وكذلك في أسعار المحصولات مما يفسر ما كان يعانيه الفلاح المصري من ظلم وعسف .

• قصص النشء :

ولا ينسى الباحث قصص النشء فأمام هذا الزبد الطافي الذي يكاد يغرق عقول أطفالنا من قصص بوليسية أو قصص مترجمة ، يزداد التطلع إلى أدب راق ، ينبع من جوهر ديننا ، ينير لأطفالنا طريق الحاضر والمستقبل ، أدب نظيف من كل السموم الفكرية .

والأديب المسلم أدرك منذ البداية أن كل طفل في فطرته حنين إلى العاطفة الدينية وميراث قديم الحقب ، وعبر الأجيال ، ولديه الاستعداد لتقبلها ،

ومن هنا وجه موهبته نحو القرآن الكريم فوجد فيه بغيته فنهل منه ما ينمي به عقلية النشء من قيم خلقية ، وقضايا اجتماعية وسياسية ، وعبرة مما ساقه القرآن الكريم عن الأمم السالفة .

وتطبيقا على ذلك يتحدث الباحث عن أدب الطفل منذ بدايته في منتصف العقد الثالث من القرن العشرين على يد جيل الرواد كامل كيلاني ، ومحمد الهراوي ، ومحمد سعيد العريان ، وأحمد برانق ، ثم رزق هيبة ، وعبد التواب يوسف ، وعبد السلام بدوي ، ومحمد عبد العزيز ... وغيرهم .

• ملامح التيار الإسلامي :

وفي هذا الفصل ، وهو أهم فصول الرسالة ، يتحدث الباحث عن ملامح التيار الإسلامي :

(أ) في القصة التاريخية :

نجد التأثر بالقرآن الكريم واضحا في كثير من القصص مثل قصة " الفستان والرصاص " لمحمد جاد البنا ، حيث ضمن أسلوبه بعض الآيات القرآنية ، وأحيانا اللفظ القرآني ومن ذلك ما وصف به حياة الاضطراب التي يحياها أبو سلمى حيث يفترش الأرض ويجعل من نعليه وسادة ، ويحاول أن يتغلب على الظروف الطبية القاسية من مطر ورياح فيقول : " .. في مكمن بجوار تل صغير افترش الأرض ، توسد نعليه .. حاول أن يستجلب النعاس .. ولكن حبات مطر متتابعة تضرب وجه الأرض وكأنها ملأى بالغضب ... الرياح أيضا ثائرة تبدد سحب المطر ، وتطاردها في الأفق ، فجأة هدأ كل شيء .. حتى حبات المطر سكت عنها الغضب " .

ولعل تعبيره عن انقطاع المطر بأنه سكوت لغضب المطر مستوحى من قوله تعالى : " **ولَمَّا سكت عن مُوسى الْغضب أخذ الألواح وفي نُسْختها هُدى ورحمةٌ لِّلَّذين هم لربِّهم يرهبُون** " (الأعراف : ١٥٤)

وكذلك وردت معاني العفو والتسامح وكظم الغيظ إلى من أساء ، في وصف الكاتب للحالة التي عليها هشام بن إسماعيل المخزومي ، في قصة " دموع الأمير " لنجيب الكيلاني ، عندما قدم عليه زين العابدين بعد أن وقف هشام في ساحة كبيرة ومضى

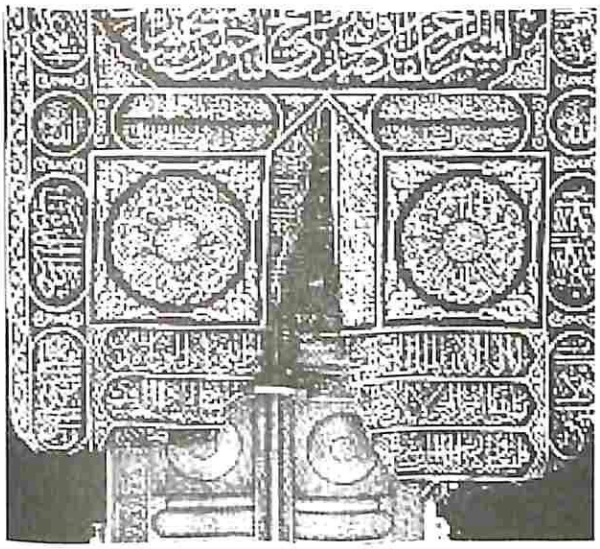

الناس يقتصون منه ، فيقول : " وانتصف النهار ... ثم اصفر الأصيل ... وساد الأفق شحوب ووجوم وغبار ، وعندئذ رأى الناس زين العابدين قد جاء وحوله جمع حافل من مواليه وأهل بيته. فأوجس هشام خيفة ، وخيل إليه أن الموت يدنو منه مع كل خطوة يخطوها زين العابدين فلما كان أمامه واستسلم هشام لليأس وبلغت روحه الحلقوم. قال زين العابدين :

- السلام عليك يا هشام .

ومد يده يصافحه ويهز يده ، ويمسك بها. ومد هشام يده، ثم أسلم إليه وخفض رأسه وبكى . فقال زين العابدين : " إن كان لك حاجة فإنا نقضيها لك ، وإن كان عليك دين من ولايتك نسدد دينك " .

فمن خلال هذا القول يتضح أن الكاتب قد وضع نصب عينه قوله تعالى : "**وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين ﴿١٣٣﴾ الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين ﴿١٣٤﴾** " (آل عمران).

(ب) في القصة الاجتماعية :

إن أبرز ما يميز القصة الاجتماعية الإسلامية تأكيدها على القيم الإسلامية في محاولة لإزالة خبايا شعارات العلمانيين ، وقد وظف الكاتب الإسلامي القصة الاجتماعية ليقدم نوعا من

القصص يتضمن قيما إسلامية تهذيبية ليعمق في نفس المتلقي الإحساس بالمثل العليا أوالقيم النبيلة ، وهو منهج يتلاءم مع المنطق الذي سار عليه المفكرون الإسلاميون .

ونجد القاص المسلم يتأثر في معالجته لقضية المرأة بالمنظور الإسلامي. ففي قصة " وسوسة الشيطان " لعبد الحميد جودة السحار ، يستخدم الكاتب الحوار ليكشف عن موقف الإسلام من تحرر المرأة وسفورها . يقول صلاح لزوجته التي أخبرته أن بديعة كانت تقيم في طنطا وحدها :

- لابد أن لهم أهلا في طنطا !
- أبداً
- أبداً ؟! ومع من كانت تعيش ؟
- وحدها .
- وحدها ؟ كيف تعيش فتاة في مثل سنها وحدها ؟
- إن أمها تفخر بها وتقول ابنتي رجل .
- ما شاء الله ! أهذا معقول ؟ إن النبي ﷺ يقول : " لا تسافر امرأة مسيرة يوم وليلة إلا ومعها ذو رحم محرم " .

فصلاح يستخدم حديث رسول الله ﷺ في حواره وسيلة من وسائل إقناع زوجته ، وإبراز الوجهة الإسلامية .

وكذلك رفض القاص المسلم التشدد والعنف كوسيلة لنشر الإسلام ، مبرزا لدعاة الإرهاب أنهم أبعد الناس عن طريق الإسلام المستقيم ففي قصة " فرح ومستور " لمحمد عبد القدوس ، يبين الكاتب أن الإسلام دين نظافة ونظام، ويرد على الذين يعدون الشوكة والملعقة جريمة " مستحيل أن يكون الإسلام ، أو النبي ﷺ قد قاما بتحريم الشوكة أو السكين أو طلب من المسلمين الجلوس على الأرض أثناء الأكل ، ... رسولنا كان نظيفاً ... "

وكذلك سخر الأديب المسلم من أولئك الذين يقولون مالا يفعلون في قصة " اللافتات في الحكومة " وقصة " المرؤوسون على دين رئيسهم " وكأنه يستحضر قول الحق تبارك وتعالى : " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾ " (الصف)

كما رفض الأديب المسلم السلبية بشتى ألوانها في قصة " ضد مجهول " لتتوافق نظرته مع قول الرسول ﷺ : " من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، وهذا أضعف الإيمان " رواه مسلم ٤٩ ، وأخرجه أبو داود والترمذي، والنسائي، وابن ماجه.

(جـ) في قصص النشء :

وجه الأديب المسلم فكره شطر القرآن الكريم فصاغ من آياته قصصا هادفة يعلم النشء بها أمور دينهم . ففي قصة " عيسى في السماء " للدكتور سعد شلبي عرض لجانب من دعوة " عيسى " - عليه السلام - فأبرز معجزاته التي أيده الله بها فكان يقول للناس : " العمي يبصرون ، والمرضى يشفون ، والعرج يمشون بإذن الله ، كان يمسح على الأعمى فيبصر ، وعلى المريض فيذهب عنه المرض، ويدعو للأعرج فيشفيه الله ... وكان له أنصار حواريون يحبونه ويقولون له : نحن أنصار الله آمنا بالله ، واشهد بأنا مسلمون " .

كما تناول الأديب المسلم عاقبة التكبر وعدم شكر الله على النعمة ، وذلك من خلال قصة " صاحب الجنتين " حيث أبرز الكاتب تفاخر "يهوذا " بماله وأولاده على أخيه الصالح " قطروس " وقد سجل القرآن ذلك في سورة الكهف في الآيات من ٣٢ إلى ٤٢ .

ويرى الباحث في الخاتمة أن القاص المسلم اعتمد على الربط بين العناصر الفنية بحيث تآزرت جميعا تآزرا أسهم في نمو الصراع وجاذبية الحدث .

وأكدت الرسالة أن الأدب الإسلامي يستطيع أن يستوعب أي فكر ، وأن يعالج أي موقف دون أن يخل بالمقومات الفنية للعمل الأدبي طالما أحسن العرض والتصوير .